

التمركز الاثني والهوية الوطنية (المجتمع العراقي انموذجاً)

أ.د. محمد سعود صغير الشمري

كلية التربية - الجامعة المستنصرية

الملخص : من ملامح المجتمع العراقي التنوع المذهبي والديني والقومي الذي يفترض أن يؤدي إلى حالة من التعايش والألفة ، وأن يكون عامل إثراء ثقافي للمجتمع ، ولكن هذا الواقع يمكن أن يتحول إلى كارثة بكل ما تحمله الكلمة من أبعاد ، إذ تحول إلى احتراب وتباغض بين مكونات المجتمع بفعل السياسة أو الدين إذ اتخذوا وجهتين طائفيتين ، لو أردنا النظر إلى هذا التنوع الذي قد لا يكون موجوداً على هذه الشاكلة في دولة أخرى في المنطقة خصوصاً ، من حيث تعلقه بالتجانس أو عدمه فإنه قد يكون عامل هدم ، وقد يكون أيضاً من أهم عوامل البناء والوحدة ، لحاجة هذه المكونات إلى الوحدة ولعدم قدرة احدها على إلغاء الآخر ، إنها والحالة هذه ستكون مصدراً للإثراء الثقافي والفكري ، فالعبرة ليست في المجتمع المتجانس ، فقد اكتسبت التعددية الأثنية أهمية خاصة كونها السبب وراء الصراعات التي تشهدها مجتمعات ودول كثيرة في أنحاء العالم وأدت إلى انهيار دول ، أو إلى حروب طويلة وتغيير أنظمة سياسية في دول ، وإلى أزمات وتوترات وانقسامات سياسية ، والأثنية ظاهرة معقدة ومركبة وقديمة يتطلب تحليلها والسعي في فهمها ضرورة الإحاطة بالأبعاد المادية والنفسية والاجتماعية التي تمثل البيئة الخاصة بالظاهرة والتي تمنح كل جماعة طابعها المميز ودوافع قيام الجماعة الأثنية وتبلورها ، أن استمرار الكراهية بين الجماعات المختلفة داخل المجتمع الواحد سيؤدي إلى زيادة المسافة الاجتماعية بينها وقد يترتب على ذلك ، ضعف الاندماج بين هذه الجماعات فيصبح المجتمع الواحد منقسماً إلى مجتمعات فرعية يعيش كل منها في عزلة اجتماعية غير ملم بنشاطات المجتمع . وهنا نصل إلى مسألة في غاية الأهمية وهي أن تعرض المجتمع إلى طارئ أو أزمة ، سيؤدي إلى استثارة العدوان لدى بعض الجماعات التي أحببت بدرجة كبيرة ، إذ تتخذ من الأزمة أو الطارئ فرصة للنيل من جماعات أخرى فالمشهد القتالي الطائفي العراقي يعتمد أسلوب أهم ميزاته هو تحديد الضحية أو الضحايا لاعتبارات أثنوية : دينية أو مذهبية أو مناطقية ، لا يشكل رفض التسمية انعكاساً للواقع أو مكابرة بل أنها تعطية لمشروع طائفي تسهم فيه قوى معينة لتخريب النسيج الاجتماعي والديني والسياسي العراقي ومن ثم تقويض أركان اللحمة الوطنية وشرذمة الولاءات وتحويلها من الوطني إلى الطائفي الاثني والخاسر الأكثر في هذه العملية هو المواطنة العراقية والعراق كوطن وإقليم ، لذا يستهدف البحث التعرف إلى : مفهوم التمركز الاثني ، المرتكزات والمبادئ النفسية للتمركز الاثني ، أسباب التمركز الاثني ، الطائفية والأثنية وتأثيرها على الهوية الوطنية في العراق إذ يشير مفهوم التمركز الإثني (Ethnocentrism) بأنه التفكير والاعتقاد بأن طرق تفكير مجموعة معينة من الناس تكون أفضل من تفكير مجموعات أخرى ، أو الحكم على المجموعات الأخرى بأنها سفلى أو دنيا مقارنة بالمجموعات الأخرى ، فكلمة (أثنية) تشير إلى الميراث الاجتماعي ، و (التمركز) يشير إلى نقطة البداية المركزية ، لذلك فإن التمركز الإثني يشير بصورة خاصة إلى الحكم على المجموعات الأخرى من وجهة نظرنا الاجتماعية ، فهو مجموعة من الأعراض العالمية لوجهات النظر والسلوكيات المقترنة به تتضمن تعاون الأفراد داخل المجموعة (In - group) وعدم تعاونهم مع الأفراد خارج الجماعة (Out - group) ، ويظهر السلوك الإثني من أسلوب وأنموذج بسيط متطور للتنافس بين الأفراد ويظهر هذا السلوك حتى عندما يكون التبادل بين الأفراد مستحيلاً أو يكون التعاون بين أفراد المجموعة صعباً ومكلفاً ، فإن السلوك الإثني سوف يكون ضرورية لإبقاء هذا التعاون ، فالأثنية هي الهوية الثقافية والمظاهر والممارسات الثقافية لمجتمع معين نشأت تاريخياً والتي تنزع نحو فصل الناس عن بعضهم البعض ، فتصبح الإثنية ظاهرة تعبر عن هوية اجتماعية تستند إلى ممارسات ثقافية معينة ومعتقدات منفردة والاعتقاد بأصل وتاريخ مشترك وشعور بالانتماء إلى جماعة

تؤكد هوية أفرادها في تفاعلهم مع بعضهم ومع الآخرين ، أما الجماعة الإثنية (Ethnic group) فقد استخدم هذا اللفظ في الأصل وأطلق على جماعات من الناس كانت مترابطة بيولوجية ، ثم اتسع المعنى وأصبح المصطلح يطلق على أي جماعة لها تقاليد ثقافية مشتركة وإحساس بالهوية . وهكذا يمكن للجماعات الإثنية أن تكون مترابطة على أساس إحساس بالتاريخ والتقاليد (كاليهود) ، وإحساس باللغة (كالهنود في داكوتا) والجغرافيا (كالاسكندنافيين) ، وعلى أساس التعريف السوسولوجي للعنصر أو الجنس (كالأفريقيين السود) وعلى الإحساس بالدين (كالمسلمين) .. الخ ، والمصطلح يطلق على جماعات الأقلية ولو أن هذا ليس شائعة وذلك أن بعض علماء النفس الاجتماعي يسمون الجماعة المسيطرة في المجتمع جماعة إثنية ، على الرغم من أن الجماعات السلالية كثيراً ما تكون جماعة عنصرية ولم يعد يستعملان كمترادفين ، فلقد وجد أن كل أفراد الجماعة الإثنية يتحدثون بلغة واحدة أو انهم يتحدثون بلهجة واحدة وهي الوسيلة التي يتم فيها الاتصال فيما بينهم لمعرفة أفكارهم والمشاعر السائدة بينهم ، كذلك أنها تدين بديانة واحدة ، وأن التدين بديانة واحدة وأداء الشعائر المرتبطة بها يسهم إلى حد كبير في حالة التماسك والانسجام بين أفرادها ، فضلا عن حالة تكوين الاعتزاز والفخر بين صفوف أفرادها ، كذلك فإن أسلوب الحياة الذي يعكس طريقة الجماعة في معالجة المشكلات التي تعترضها يكاد يكون متشابهة ، واستنادا إلى أساليب الحياة التي يستعملها الفرد ، صار بإمكاننا تصنيفه إلى الجماعة التي ينتمي إليها ، كما أن التنظيم الاجتماعي الذي تدعو إليه الجماعة الإثنية يعد من العوامل المهمة في تشكيل سلوك أفرادها .

فالطائفية والإثنية في العراق تؤثر على الهوية الوطنية ، إذ تعود خصوصية الهوية في العراق إلى تعدد وتنوع كيانات اجتماعية مختلفة وثقافات فرعية متعددة تبدأ بالقومية والدين وتنتهي بالقبيلة والطائفية ، والعراق منذ أقدم العصور كيان مركب من إثنيات متعددة تتداخل وتتعايش مع بعضها البعض وبالرغم من هذا التداخل والتفاعل والتعايش مع بعضها البعض وبالرغم من هذا التداخل والتفاعل والتعايش مع بعضها البعض وبالرغم من هذا التداخل والتفاعل والتعايش بين هذه الجماعات بقيت الجغرافية لا تتطابق مع حدود المشاعر القومية والدينية والطائفية وذلك التعدد الولاءات للقبيلة والطائفة والمنطقة والمدينة ، التي تستقطب كل واحدة منها مشاعر الولاء الاجتماعي حولها ، أظهرت النتائج أن الانتماءات الفاعلة في المجتمع العراقي ، هي لجماعات تبعد كثيرة عن الجماعات التي من المفترض أن تكون فاعلة في المجتمعات الحديثة ، فإزاء الانتماء إلى الأسرة ، هناك الانتماء العائلي الذي يشكل دافعة الانتماء أبعد ، هو الانتماء العشائري ، ومن ثم الانتماء القبائلي ، وهناك أخيرا الانتماء الريفي أو المحلاتي (من المحلة) إزاء الانتماء إلى المدينة وتكوين المجتمع المدني ، وهذه الانتماءات التقليدية كانت في بنى تشكو التقليد وتحاول أن تسموا إلى الحداثة قادت الفرد العراقي بعيدا عن الانتماءات الموحدة مع الأفراد الآخرين في هذا المجتمع تتدرج إشكالية المجتمع في العراق المعاصر في سياقات قومية ودينية وطائفية (مذهبية) متداخلة ، تضاف إلى الالتباسية (العائلية) و (القبيلية / العشائرية) .

Summary

One of the features of Iraqi society is sectarian, religious and national diversity, which is supposed to lead to a state of coexistence and familiarity and to be a cultural enrichment factor for society, but this reality can turn into a disaster in all its dimensions, as it turns into war and hatred between the components of society due to politics or religion, as they took two sectarian directions, if we wanted to look at this diversity, which may not exist in this way in another country in the region in particular, In terms of its relevance to homogeneity or lack thereof, it may be a destructive factor and it may also be one of the most important factors of building and unity, due to the need for these components to unity and the inability of one of them to cancel the other, and this situation will be a source of cultural and intellectual enrichment. The lesson is not in a homogeneous society, as ethnic pluralism has acquired a special importance because it is the reason behind the conflicts in many societies and countries around the world and led to the collapse of other countries, or to long wars and changing political systems in countries or to crises, tensions and political divisions. Ethnicism is a very old and complicated

phenomenon , the understanding of it requires having a considerable knowledge of all the physical , psychological , and social dimensions which represent the specific environment for this phenomenon that gives it its specific shape .

Ethnicity is a complex and ancient phenomenon whose analysis and pursuit of understanding the necessity of being aware of the physical, psychological and social dimensions that represent the environment of the phenomenon and which give each group its distinctive character and the motives for the establishment and crystallization of the ethnic group, the continuation of hatred between the different groups within the same society will lead to an increase in the distance .The social group among them may result in weak integration between these groups, so that one society becomes divided into sub-societies, each of which lives in social isolation, not familiar with the activities of the community . Here we arrive at a very important issue, which is that exposing society to an emergency or crisis will lead to provoking aggression among some groups that have been greatly frustrated, as they take the crisis or emergency as an opportunity to undermine other groups, as the Iraqi sectarian combat scene adopts the method of its most important feature is to identify the victim or the victims are due to ethnic considerations: religious, sectarian, or regional. Refusal to give the name is not a reflection of reality or arrogance, but rather it is a cover for a sectarian project in which certain forces contribute to sabotage the Iraqi social, religious and political fabric, thus undermining the foundations of national cohesion and the division of loyalties and their transformation from the patriot to the ethnic and the loser in this is the process is Iraqi citizenship and Iraq as a homeland .

Therefore, the current research aims to identify the concept of ethnocentrism , the foundations and psychological principles of ethnic concentration and its causes, sectarianism and ethnicity and their impact on the national identity in Iraq, as the concept of ethnocentrism indicates that thinking and belief that the ways of thinking of a certain group of people are better than the thinking of other groups, and the judgment on other groups, it is inferior or inferior compared to other groups, so the word (ethnic) refers to social inheritance, and (centrism) indicates the central starting point, it is a group of global symptoms of the perspectives and behaviors associated with it that include cooperation of individuals within the group and their lack of cooperation with individuals outside the group . Ethnicity is the cultural identity, manifestations and cultural practices of a specific community that have historically been established tend to separate people from each other, so ethnicity becomes a phenomenon expressing a social identity based on specific cultural practices and individual beliefs, and belief in a common origin and history and a sense of belonging to a group that confirms the identity of its members in their interaction with each other. And with others. As for the ethnic group, this term was originally used and applied to groups of people that were biologically related, then this meaning expanded and the term became used for any group that has common cultural traditions and a sense of identity. Thus, a group can be interconnected with a sense of history and traditions (such as Jews), a sense of language (such as the Indians in Dakota) and geography (such as the Scandinavians), and on the basis of a sociological definition of race or gender (such as black Americans) or on a sense of religion as (Muslims) . Sectarianism and ethnicity in Iraq affect the national identity, as the privacy of identity in Iraq is due to the multiplicity and diversity of different social entities and multiple subcultures that start with nationalism and religion and end with tribe and sect, and Iraq since ancient times is a complex entity of multiple ethnicities that overlap and coexist with each other, despite this overlap And the interaction and coexistence between these groups, geography remained inconsistent with the limits of national, religious and sectarian sentiments due to the multiplicity of loyalties to the tribe and sect, or region and city, which each attracts feelings of social loyalty around them. The results showed that the active affiliations in Iraqi society are groups that are far removed from the groups that are supposed to be active in modern societies. These traditional affiliations led the Iraqi individual away from the supposed unified affiliations with individuals within this society .

أهمية البحث والحاجة إليه :

تتميز كثير من دول العالم اليوم بتركيبية اجتماعية متعددة الإثنيات وقد تكون هناك أصول تاريخية لهذا التعدد الإثني سواء في جوانبه الخفية أم العلنة ويصدق ذلك على العديد من المجتمعات ، وقد تزايد تعدد الإثنيات في بعض المجتمعات الحديثة في أعقاب السياسات التي انتهجتها في العقود الأخيرة ، أو بسبب السياسات الاستعمارية التي مارستها بعض الدول على أراضي وشعوب أخرى في القرون الثلاثة الماضية (غدير ، ٢٠٠٨ : ٣٢٥) .

من ملامح المجتمع العراقي التنوع المذهبي والديني والقومي الذي يفترض أن يؤدي إلى حالة من التعايش والألفة ، وأن يكون عامل إثراء ثقافي للمجتمع . ولكن هذا الواقع يمكن أن يتحول إلى كارثة بكل ما تحمله الكلمة من أبعاد ، إذ تحول إلى احتراق وتباغض بين مكونات المجتمع بفعل السياسة أو الدين إذ اتخذوا وجهتين طائفتين ، لو أردنا النظر إلى هذا التنوع الذي قد لا يكون موجوداً على هذه الشاكلة في دولة أخرى في المنطقة خصوصاً ، من حيث تعلقه بالتجانس أو عدمه فإنه قد يكون عامل هدم ، وقد يكون أيضاً من أهم عوامل البناء والوحدة ، لحاجة هذه المكونات إلى الوحدة ولعدم قدرة أحدها على إلغاء الآخر ، إنها والحالة هذه ستكون مصدراً للإثراء الثقافي والفكري ، فالعبرة ليست في المجتمع المتجانس ولتأخذ الصومال على سبيل المثال ، فشعبه يدينون بدين واحد ، ومذهب واحد ، ويحملون سمات واحدة من حيث العرق ، وينتسب معظمهم إلى قومية واحدة ، ويتكلمون لغة واحدة مع ذلك فإن الصومال رمزا للقتال والتناحر ، (منتصر ، وفاضل ، والحيدري ، والغريفي ، ٢٠٠٨ : ١٨٠ - ١٨١) ، فيما تميزت دول عديدة مثل سويسرا وبلجيكا بازدهارها الاقتصادي واستقرارها الأمني والسياسي على الرغم من تنوعها لغوياً وعرقياً ودينيّاً ، لا بل أن هذه الدول تربعت على صدارة الاقتصاد العالمي ونالت المراتب المتقدمة في رفاهية مواطنيها (الشمري ، ٢٠١٠ : ٧٨) ، لذلك فإن التنوع الإثني في العراق ليس هو المسؤول عما حل بهذا البلد ، كما أنه لن يكون عائقاً أمام قيام دولة تحفظ وحدته المجتمعية والسياسية ، والتمركز الإثني (Ethnocentrism) كما وصفه سمتر (Sumner، ١٩٠٦) هو النظر إلى الأمور من زاوية أن الجماعة التي ينتمي إليها المرء هي مركز كل شيء ، والحكم على الآخرين على أساس أن جماعته هي مرجع هذا الحكم ... ، فكل جماعة تغذي غرورها وفخرها بذاتها هي الأرقى ، وتمجيد مقدساتها وبالنظر بأحتقار إلى من هم دونها . على ذلك يضم التمركز الإثني معتقدات في القيمة الفريدة والصواب التام للجماعة التي ينتمي إليها المرء ، وفي الترفع عن الجماعات الأخرى إلى حد عده من نوع غير نوع جماعته (دكت ٢٠٠٠ : ٨٧) .

الجماعة الإثنية (Ethnic Group) مفهوم أطلق على جماعات من الناس كانت مترابطة بيولوجياً ثم اتسع المعنى وأصبح يطلق على أي جماعة لها تقاليد ثقافية مشتركة وإحساس بالهوية وهكذا يمكن للجماعات الإثنية أن تكون مترابطة على أساس إحساس بالتاريخ والتقاليد أو اللغة ، أو الجغرافية ، أو على أساس التعريف السوسولوجي للعنصر ، أو الجنس ، أو الإحساس بالدين فالتمركز الإثني (Ethnocentrism) عبارة عن ميل عام للاستجابة يتسم بالعدوان للجماعات الخارجية (Out Groups) بوجه عام (عبد الله ، ١٩٨٩ : ٢٣) ، وميل لإعلاء تفوق الجماعة على وجه الخصوص الجماعة الوطنية أو الإثنية التي ينتمي إليها المرء والحكم على الخارجيين منها بمعايير جماعة المرء (دسوقي ، ١٩٨٨ : ٥٨٠) ، ومن ثم فإن التمركز الإثني يعني بداية النظرة المتحيزه ضد ممارسات الجماعات الأجنبية (جابر وكفافي ، ١٩٩٠ : ١١٨٨) .

موضوع المسألة الإثنية معالج من قبل عدة مدارس ومنذ قرون إلا إنه ومع حلول القرن الحادي والعشرين أصبحت هذه المسألة محوراً مركزياً بدل القومية (شمص ، ٢٠٠٨ : ١٩٧) .

اكتسبت التعددية الإثنية أهمية خاصة كونها السبب وراء الصراعات التي تشهدها مجتمعات ودول كثيرة في أنحاء العالم وادت إلى انهيار دول مثل الصومال وليبيريا ، أو إلى حروب طويلة وتغيير أنظمة سياسية في دول مثل الكونغو والسودان ورواندا وبورندي ، والى أزمات وتوترات وانقسامات سياسية مثل أندونيسيا ، واسبانيا ، والولايات المتحدة ، ودول أمريكا اللاتينية ، والإثنية ظاهرة معقدة

ومركبة وقديمة يتطلب تحليلها والسعي في فهمها ضرورة الإحاطة بالأبعاد المادية والنفسية والاجتماعية التي تمثل البيئة الخاصة بالظاهرة والتي تمنح كل جماعة طابعها المميز ودوافع قيام الجماعة الإثنية وتبلورها (غرابية ، ٢٠٠٨ : ٢-١) .

ناهيك عن الصراعات الإثنية وما خلفته من ضحايا ، فقد أزهقت أرواح ملايين البشر بعد الحرب الباردة (إذ قضى نحبه في البوسنة وحدها أكثر من ٢٠٠،٠٠٠ نسمة بين عامي ١٩٩٢ و ١٩٩٥ ، ونحو ٨٠٠،٠٠٠ في رواندا ١٩٩٤) . وما أعقب الحرب الأنجلو - أمريكية ضد العراق في آذار ونيسان عام ٢٠٠٣ وما حدث في العراق ومنذ ذلك الوقت إنما هو اثنية السياسة وهي ظاهرة معروفة تذكرنا بأشد فصول السياسة القومية الإثنية ظلمة "وتسوية الصراع" المثير للجدل في البوسنة وفي لبنان وفي العصر الاستعماري الذي اقترن بتقسيم الهند والذي خلق بؤرة الصراع في كشمير مازالت نيرانها تستعر تحت الرماد وكانت هذه كلها ومازالت حلوة داخل إطار "النموذج الإثني" (فيلاند ، ٢٠٠٧ : ٨ - ١٠) .

إن استمرار الكراهية بين الجماعات المختلفة داخل المجتمع الواحد سيؤدي إلى زيادة المسافة الاجتماعية بينها وقد يترتب على ذلك ، ضعف الاندماج بين هذه الجماعات فيصبح المجتمع الواحد منقسمة إلى مجتمعات فرعية يعيش كل منها في عزلة اجتماعية غير ملم بنشاطات المجتمع . وهنا نصل إلى مسألة في غاية الأهمية وهي أن تعرض المجتمع إلى طارئ أو أزمة ، سيؤدي إلى استثارة العدوان لدى بعض الجماعات التي أحبطت بدرجة كبيرة ، إذ تتخذ من الأزمة أو الطارئ فرصة للنيل من جماعات أخرى (حسن ، ٢٠٠١ : ٣٢٦) .

تعد الإبادة أكثر أشكال العلاقات تطرفاً بين الجماعات والتي تتضمن الإبادة الجماعية ، أي التدمير المنظم والمخطط لجماعة اثنية معينة، أما التطهير الإثني فيعني خلق مناطق متجانسة أثنياً عن طريق الإخلاء الكلي للجماعات الإثنية الأخرى (عبد الجبار ، ٢٠٠٧ : ٢) .

هذا ما حصل في العراق برغم أن الكثير يرفض وصف عمليات القتل المتواصلة في جميع أنحاء العاصمة العراقية بغداد وفي مناطق عديدة في العراق بأنها حرب طائفية أثنية وقد يكون معهم الحق من زاوية فنية واحدة أنها ليست معركة خنادق مناطقية طائفية مثلما جرى في لبنان أو البوسنة أو أي منطقة أخرى في العالم ، ولكن المشهد القتالي الطائفي العراقي يعتمد أسلوب قتالي جديد أهم ميزاته هو تحديد الضحية أو الضحايا لاعتبارات إثنية دينية أو مذهبية أو مناطقية ، وذلك ما حدث بالضبط في الأعظمية وحي الجهاد والعامرية والغزالية والشعلة واليرموك ، ومثلث الموت اللطيفية اليوسفية والبياع وكل مدن العراق الأخرى . لايشكل رفض التسمية انعكاساً للواقع أو مكابرة بل أنها تغطية لمشروع طائفي تسهم فيه قوى معينة لتخريب النسيج الاجتماعي والديني والسياسي العراقي ومن ثم تفويض أركان اللحمة الوطنية وشرذمة الولاءات وتحويلها من الوطني إلى الطائفي الإثني والخاسر الأكثر في هذه العملية هو المواطن العراقي والعراق كوطن وإقليم (التميمي ، ٢٠٠٧ : ١) .

أهداف البحث : يستهدف البحث الحالي التعرف إلى :

- ١ . مفهوم التمركز الإثني .
- ٢ . المرتكزات والمبادئ النفسية للتمركز الإثني .
- ٣ . أسباب التمركز الإثني .
- ٤ . الطائفية والاثنية وتأثيرها على الهوية الوطنية في العراق .

تحديد المصطلحات

التمركز الإثني (Ethnocentrism) عرفه العديد من العلماء وكالاتي :

• تعريف سمنر (Sumner ، ١٩٠٦) " "

"النظر إلى الجماعة التي ينتمي إليها الفرد على إنها مركز كل شيء والحكم على الآخرين بمقاييسها حيث أن كل جماعة تضع نفسها فوق الجماعات الأخرى وتتنظر بازدراء إلى الغرباء عنها وتعتقد أن طريقتها في الحياة هي الطريقة الصحيحة".

• تعريف البورت (Allport ، ١٩٥٨)

"تمت العداوة في العلاقات الشخصية بوجه مباشرة ضد جماعة كلية أو ضد الأفراد أعضاء هذه الجماعة ويؤدي لصاحبه نوعية غير عقلانية".

• تعريف بيرري وكالين (Berry & Kalin ، ١٩٩٥)

"عبارة عن فقدان القبول على التنوع الاجتماعي والثقافي ، وتعصب عام تجاه المجموعات الخارجية وأفضلية نسبية للفرد تجاه داخل مجموعته أكثر من خارج المجموعة"

• تعريف اكيسلورد وهاموند (Axelord & Hamund ، ٢٠٠٣)

"أعراض عالمية لوجهات النظر والسلوكيات ، أن وجهات النظر هذه تتضمن رؤية وجهات نظر مجموعة معينة (داخل المجموعة) بأنها أفضل وأكثر رقي من وجهات نظر المجموعات الأخرى (خارج المجموعة) وعدها مبتذلة وأقل شأنًا ، وتشمل أيضاً رؤية معايير القيم لمجموعة معينة بأنها عالمية وشاملة ، والسلوكيات المقترنة به هي علاقات تعاونية للأفراد داخل المجموعة وغياب هذه العلاقات مع أفراد المجموعة الأخرى وخارج المجموعة (عباس ، ٢٠١٠ : ٢٥) .

مفهوم التمركز الإثني (Ethnocentrism)

استخدم باحثوا العلوم الاجتماعية عدد من المفاهيم في وصف وتفسير العلاقات والصراع بين الجماعات ، تشمل هذه المفاهيم التمركز الإثني (Ethnocentrism) ، والتسامح (Tolerance) والقوالب الجامدة (Stereotype) ، والمسافة الاجتماعية (Social distance) ، والعنصرية (Racism) ، والتمييز (Discrimination) ، والتعصب (Prejudic) ، التمركز الإثني عبارة عن مصطلح يستعمل بشكل واسع في المجتمعات التي تهتم بالإثنية والعلاقات العرقية الداخلية وأمور اجتماعية مماثلة . والتمركز الإثني هو التفكير والاعتقاد بأن طرق تفكير مجموعة معينة من الناس تكون أفضل من تفكير مجموعات أخرى أو الحكم على المجموعات الأخرى بأنها سفلى أو دنيا مقارنة بالمجموعات الأخرى ، فكلمة (أثنية) تشير إلى الميراث الاجتماعي ، و (التمركز) يشير إلى نقطة البداية المركزية ، لذلك فإن التمركز الإثني يشير بصورة خاصة إلى الحكم على المجموعات الأخرى من وجهة نظرنا الاجتماعية ، فهو مجموعة من الأعراض العالمية لوجهات النظر والسلوكيات المقترنة به تتضمن تعاون الأفراد داخل المجموعة (In - group) و عدم تعاونهم مع الأفراد خارج الجماعة (Out - group) ، ويظهر السلوك الإثني من أسلوب وأنموذج بسيط متطور للتنافس بين الأفراد ويظهر هذا السلوك حتى عندما يكون التبادل بين الأفراد مستحيلاً أو يكون التعاون بين أفراد المجموعة صعباً ومكلفاً ، فإن السلوك الإثني سوف يكون ضرورية لإبقاء هذا التعاون ، أول من استعمل اصطلاح التمركز الإثني (Ethnocentrism) العالم وليم غراهام سمنر في كتابه (Folkways) طرق التفكير والشعور عند الجماعات الذي نشر عام ١٩٠٦ وكان يعني بهذا الاصطلاح اعتقاد القرد الجازم بسمو ورفعة جماعته التي يعدها أساس لكل الجماعات الموجودة في المجتمع إذ أنها تنصدر المكانة العالية وتحتل المركز الحساس ، لذا تقيم الجماعات والأشياء المحيطة بها بدرجة علاقتها معها (Sumner، ١٩٠٦ : ١٤).

وهو كبقية الاصطلاحات التي اكتشفها سمنر استعملها من بعده علماء الاجتماع وعلماء النفس على وجه الخصوص علم النفس الاجتماعي مثل أدورنو الذي ألف كتابه الموسوم "الشخصية السلطانية" في عام ١٩٥٠، وحاول سمنر وصف الظاهرة التي تدفع الناس

في تضخيم وتكثيف الأشياء التي تعتقد بها جماعتهم الأثنية وقال بأن هذه الظاهرة تقيدها في تقسيم الناس إلى جماعات ومِلل مختلفة وأضاف: بأن الأثنية تقوي طرق التفكير والشعور عند الجماعات (الحسن ، ١٩٨٠ : ١٢٩ - ١٣٠) .

والمركز الإثني هو نزعة مبالغة فيها للتفكير في أن خصائص جماعة المرء الخاصة أو سللته ارقى من خصائص الجماعات أو السلالات الأخرى ، فهو :

خاصية اعتقاد أن جماعة المرء الأثنية هي الأرقى .

جملة أعراض مرض شخصية تتميز باتجاهات متفق عليها بقوة بعلاقات شخصية ذات توجه نحو النفوذ ، ويميل صاحبها لإسقاط اندفاعات عدائية على الآخرين .

انه مثيل للمركز حول الذات (ego centrism) في العلاقات العنصرية أو الوطنية ، وهو دافع مفترض للاتجاهات الكامنة التي تنطوي على الاتي :

تقييم العالم الاجتماعي إلى داخل الجماعة (In - group) الذي يتوحد به المرء ويمتصه ويخضع له ، خارج الجماعة (Out - group) الذي يكون المرء عدائية بالنسبة له ، الإيجابية للأول ، والسالبة للثاني ، والترتيب بداخل وخارج الجماعات إلى مدرج قيم أو تقييمات فيها يكون الأول دائمة السائد والثاني هو التابع أو اللاحق للصفة (دسوقي ، ١٩٨٨ : ٥٠٨-٥٠٩) .

ما هي الأثنية ؟

يعد مفهوم الأثنية اسماً جامعاً فقد تحول من حيث كونه اسماً إلى جزء مركزي من الجدل السياسي ، يتضمن هذا المفهوم جانبان نظري وعملي ، على الصعيد النظري فإن الإثنيات تمثل "حقيقة اجتماعية بديهية لم يكتشفها العلم إلا فيما بعد . وهذا يعني من الوجهة العملية أن العوامل الأصلية كالأصل ، واللغة ، والدين ، ولون البشرة ، والتقاليد ، (من الثياب إلى صفات الطبخ) ، والتبعية لرقعة من الأرض تطبع الناس بهذه التبعية لها ، ومنذ ولادتهم وبذلك يكون أولئك الذين يشتركون في هذه العوامل مترابطين برابط عاطفي وهم يشكلون فهماً جماعية ثابتة راسخة وهوية ثابتة (فيلاند ، ٢٠٠٧ : ٣٢ - ٣٣) .

وظف السوسولوجي البريطاني سميث الكلمة الفرنسية (ethnie) لتصف جماعات تشترك في أساطير معينة عن اصلها ومنحدرها ، كما أنها ترتبط برقعة أرض معينة وتمتاز في الأقل ببعض العناصر الثقافية المشتركة ، وبوجود إحساس بالتضامن بين معظم أفرادها (نقاش وآخرون ، ٢٠٠٦ : ٢٥٢) .

فالأثنية هي الهوية الثقافية والمظاهر والممارسات الثقافية لمجتمع معين التي نشأت تاريخياً والتي تنزع نحو فصل الناس عن بعضهم البعض (عبد الجبار ، ٢٠٠٧ : ١) .

فتصبح الأثنية ظاهرة تعبر عن هوية اجتماعية تستند إلى ممارسات ثقافية معينة ومعتقدات منفردة والاعتقاد بأصل وتاريخ مشترك وشعور بالانتماء إلى جماعة تؤكد هوية أفرادها في تفاعلهم مع بعضهم ومع الآخرين (غرايبة ، ٢٠٠٧ : ٥) .

الأثنية والعرق ، عرق أم أثنية ؟

أن سوء استعمال مصطلح العرق (Race) لتسوية سياسات تحسين النسل ، وذبح ملايين البشر ، عبأ العلماء للهجوم على مفهوم مصطلح العرق بحد ذاته وكان في طبيعة هؤلاء الأنثروبولوجي (أشيلي مونتاغيو) فقد أوصى مونتاغيو باستبدال مفهوم العرق بمفهوم "الجماعة الإثنية" (Ethnic group) ونصح بأن هذا المفهوم الجديد سيفتح المجال لإعادة التنقيف فيما يتعلق بالفروق الجماعية مع إعادة تصحيح المواقف العرقية ، كما أصدرت مجموعة من علماء الاجتماع عام (١٩٥٢) كتاباً من منظمة اليونسكو بعنوان (The Statement on Race) وقد أفاد الكتاب من توصيات مونتاغيو في وجوب إسقاط مصطلح عرق واستبداله بمصطلح "جماعة إثنية" فقد أشار الكتاب إلى أن "العرق" كمصطلح بيولوجي يعطي انطباعاً أن الفروق في الخصائص الثقافية شأن الدين والقومية واللغة

والسلوك هي فروق فطرية وغير قابلة للتغيير ، أما مصطلح الجماعة الأثنية فيتضمن أن هذه الفروق ليست موروثية بل مكتسبة وتم اعتماد مصطلح "الجماعة الأثنية" كمصطلح ملائم للتعبير عما يعنيه البشر عندما يتحدثون عن العرق (حسين ، ٢٠٠٦ : ٢) .
ومن المغالطات الجسيمة أن نقول بان الصفات (الدونية) التي تميز جماعة على جماعة أخرى، تتأصل في جيلة البشر ، وهنا يتم تعبئة البشر بالنزعة العنصرية على الصعيدين السياسي والاقتصادي ويصبح من السهل التركيز على الفروق على أنها صفات أولية (حسين ، ٢٠٠٧ : ٤) .

والفوارق الأثنية هي مما يجري تعلمه واكتسابه في سياق اجتماعي بصورة كلية وليس ثمة جانب فطري أو غريزي في الخصائص الأثنية ، فهي كلها ظاهرة اجتماعية خالصة يجري إنتاجها على مر الزمن (غدنز ، ٢٠٠٨ : ٣١٢) .

الجماعة الأثنية (Ethnic group)

استخدم هذا اللفظ في الأصل وأطلق على جماعات من الناس كانت مترابطة بيولوجياً ، ثم اتسع المعنى وأصبح المصطلح يطلق على أي جماعة لها تقاليد ثقافية مشتركة وإحساس بالهوية . وهكذا يمكن للجماعات الأثنية أن تكون مترابطة على أساس إحساس بالتاريخ والتقاليد (كاليهود) ، وإحساس باللغة (كالهنود في داكوتا) والجغرافيا (كالاسكندنافيين) ، وعلى أساس التعريف السوسولوجي للعنصر أو الجنس (كالأمريكيين السود) وعلى الإحساس بالدين (كالمسلمين) .. الخ ، والمصطلح يطلق على جماعات الأقلية ولو أن هذا ليس شائعاً وذلك أن بعض علماء النفس الاجتماعي يسمون الجماعة المسيطرة في المجتمع جماعة أثنية ، على الرغم من أن الجماعات السلافية كثيراً ما تكون جماعة عنصرية ولم يعد يستعملان كمترادفين (جابر وكفافي ، ١٩٩٠ : ١١٨٧ - ١١٨٨) .

فلقد وجد أن كل أفراد الجماعة الأثنية يتحدثون بلغة واحدة أو انهم يتحدثون بلهجة واحدة وهي الوسيلة التي يتم فيها الاتصال فيما بينهم لمعرفة أفكارهم والمشاعر السائدة بينهم ، كذلك أنها تدين بديانة واحدة ، وان التدين بديانة واحدة وأداء الشعائر المرتبطة بها يسهم إلى حد كبير في حالة التماسك والانسجام بين أفرادها ، فضلاً عن حالة تكوين الاعتزاز والفخر بين صفوف أفرادها ، كذلك فان أسلوب الحياة الذي يعكس طريقة الجماعة في معالجة المشكلات التي تعترضها يكاد يكون متشابهاً ، واستناداً إلى أساليب الحياة التي يستعملها الفرد ، صار بإمكاننا تصنيفه إلى الجماعة التي ينتمي إليها ، كما أن التنظيم الاجتماعي الذي تدعو إليه الجماعة الأثنية يعد من العوامل المهمة في تشكيل سلوك أفرادها (حسن ، ٢٠٠١ : ١٧١ - ١٧٢) .

الأسس النظرية للتمركز الإثني :

ركزت نظريات عديدة على الأسس النفسية للتعصب ، بحثت هذه النظريات عن العمليات النفسية الشائعة التي تكون الاستعداد للتعصب ، وهي بذلك تنظر للتعصب أو على الأقل الاستعداد للتعصب بوصفه ظاهرة إنسانية عامة ومنتشرة كان مفهوم التمركز الإثني من اهم الأفكار الممثلة لهذا الاتجاه ، والذي صاغه سمنر عام ١٩٠٦ (Sumner ، ١٩٠٦) (دكت ، ٢٠٠٠ : ١٥٥) .
أن الفكرة النظرية للتمركز الإثني كما تم تطويرها من قبل سمنر (Sumner ، ١٩٠٦) اقترحت أن في معظم سياقات داخل المجموعة توجد هنالك مجموعة تعد مركزية لكل شيء ، وان جميع الأشياء الأخرى تتعلق أو تعتمد على هذه المجموعة ، أي أن هناك مجموعة تعد من نفسها مركزية لكل شيء ، أما الأشخاص الآخرين فهم تابعين أو ثانويين ، وهو ينظر إلى التمركز الإثني بوصفه مجموعة من الاتجاهات والقيم والسلوكيات المتضمنة في كل من التوحد للجماعة الداخلية والعداء للجماعة الخارجية ، واعتقد سمنر أن هناك عنصراً متلازماً ومحتوماً في تقويم العالم الاجتماعي إلى جماعات متباينة ، ويعني ذلك الانتماء إلى الجماعة ، التضحية من أجلها ، كراهية وازدراء الخارجين عليها ، التأخي داخلها ، والحرب على من هم خارجها ، الكل ينمو معاً ، والفائدة تعود على الجميع أن تعبير التمركز الإثني يمكن رؤيتها عبر اتصال داخل المجموعة وخارج المجموعة ، داخل المجموعات الأثنية تقوم بسلوكيات (غير اجتماعية) تجاه خارج المجموعات . فمن الناحية العقلانية فإن المجموعات ذات التمركز الإثني ترى بأنها الأقوى والأفضل ، بينما ترى

دائماً خارج المجموعة مصدر تهديد في تحقيق أهداف داخل المجموعة ، والتاريخ يعطينا أمثلة كيف أن هذه الفكرة قادت إلى العنف في العديد من المجتمعات ، فقد أشار كل من بيرري وكلاين (Berry , Kalin، ١٩٩٥) إلى أن فكرة التمرکز الإثنى مرادفة للعداء العام تجاه جميع المجموعات الخارجية ، ولكن عبر الدلائل التي تم التوصل إليها عبر مجموعة من الدراسات ترى أن التمرکز الإثنى بمعنى الميل العام للتحيز وتمييز الجماعة الداخلية ، لا تعني بالضرورة التعصب ضد الجماعة الخارجية في ذاتها ، ففي ظروف معينة ، مثل التنافس بين الجماعات يبدو أن التحيز للجماعة الداخلية يتحول إلى تعصب نشط أو عداء للجماعة الخارجية ، وهكذا يمكن النظر إلى التمرکز الإثنى بوصفه تكويناً للاستعداد أنساني أساسي للتعصب (عباس ، ٢٠١٠ : ٥٦).

وقد ركزت العديد من نظريات التعصب على العمليات الأساسية الشائعة لدى الأفراد والتي تشكل الأساس أو البناء التحتي للاستعداد للتعصب ، وتتضمن ما يلي :

الإسقاط : Projection

تعد هذه النظرية التمرکز الإثنى شكلاً من النرجسية (Narcissism) للجماعة الداخلية ، الفرد يجمع مشاعر الكراهية ضد جماعته ، ويلبور مشاعر الانتماء لها ، وهو ما سماه فرويد بالروابط اللبيدية مع الآخرين من جماعته ويميل إلى تضخيم الاختلافات بينه وبين أفراد الجماعات الأخرى مع إسقاط مشاعر الكراهية والمقت عليهم ، يطلق على هذه الآلية في التعامل مع الآخرين الإسقاط (prejection) الذي يمثل واحدة من ميكانزمات الدفاع والذي يهدف إلى حل صراع داخلي عن طريق نسبة الاندفاعات والصفات غير المرغوبة والمكبوتة إلى الآخرين ، أن الصراع الداخلي والكبت للدفاعات غير المرغوبة يعتبر مظاهرة شائعة للحياة الاجتماعية والإنسانية لذا يمكن وصف الإسقاط ميكانزماً شائعة يكمن خلف ميل الفرد لتكوين صورة نمطية جامدة سلبية للجماعة الخارجية ، وبذلك يكرههم ، ويفسر هذا المنطلق ميل القوالب النمطية إلى ان تكون صورة مشتركة أو جماعية بين جماعة معينة من الناس وذلك ليس على أساس السمات الفعلية للجماعة الخارجية ، لكن على أساس الحاجات أو الصفات غير المرغوب فيها التي تشعر بها الجماعة المذكورة والتي تسقطها على تلك الجماعة الخارجية ، وهذا الميكانزم يهيئ للشخص أن يقوم بأفعال مشينة أو أن يقاتل ويفسق لاعتقاده أن الأشخاص الآخرين هم الذين بدعوا بذلك (العبودي ، ٢٠٠٢ : ١٠٠) .

نظرية إزاحة الإحباط-العدوان-Arustration-Aggression-Displacement Theory

الإزاحة (Displacement) ميكانزم دفاع يحاول فيه الفرد تناول انفعالاته وأفكاره المجتمعة والمشحونة ليحولها ويوجهها إلى مواضيع غير التي كانت في بدايتها (الدباغ ، ١٩٨٣ : ٤٠). ووفقاً لهذه الآلية يتم احتساب شخص أو جماعة سبباً بمشاكل شخص آخر ، يجنب الشخص في هذه المناورة الدفاعية لوم النفس ويعيد توجيه اللوم إلى الآخرين ، وبناء على فرضية (الإحباط - العدوان) التي أقرتها دولارد وزملاؤه (Dollard.et . al ، ١٩٣٩) فإن الإحباط يؤدي إلى العدوان دائماً ، وإن العدوان يظهر نتيجة للإحباط في كل الحالات ، ولالإحباط (وهو حالة نفسية تنشأ عن إعاقة الفرد عن الوصول إلى هدف مرغوب) مصادر مختلفة ، وقد يكون العدوان المباشر ضد مصدر الإحباط ممكناً في بعض الأحيان وغير ممكنة أحياناً أخرى (مكلفين وغروس ، ٢٠٠٢ : ٢٥٦) .

فإذا واجهت الجماعة فشلاً أو مشكلة وأسندتها إلى أحقاد الخارجين عليها أو على الأقليات أو الجماعات الخارجية يمكن بذلك تجنب النتائج الضارة بالجماعة والحفاظ على تماسكها أو تقوية بنائها ، وقد اقترح باباد وآخرون (Babad , et.al ، ١٩٨٣) قاعدة مفيدة في وظيفة الجماعة هي " حينما يوجد توتر ومشكلات اجتماعية يبدو من الصعب التغلب عليها ابحت عن جماعة بريئة ضعيفة واضحة المعالم واجعلها ضحيتك ووجه اليها لومك" (عباس ، ٢٠١٠ : ٤٤) .

نظريات الصراع بين الجماعات : Conflict Theories Group

وهي النظريات التي تركز اهتمامها على معرفة وفحص متى وكيف تنشأ الاتجاهات التعصبية في مجتمع معين ، أو ثقافة معينة ، أو جماعة معينة نتيجة أشكال الصراع المختلفة التي تنتج من تفاعل هذه الجماعات (Sears , et.al ، ١٩٨٠ : ٣٩٨) . وهذا المنحى أقرب ما يكون إلى المنحى الثقافي - الاجتماعي Socio - Cultural - Approach وينصب الاهتمام فيه على الجماعات ككل وليس على الأفراد ، أي ليس على الأفراد بوصفهم أفراداً ولكن بوصفهم أعضاء في جماعات لها كيان خاص و متميز (عبد الله ، ١٩٨٩ : ١٠٢) .

نظرية الصراع الواقعي Realistic Conflict Theory :

تفترض نظرية الصراع الواقعي التي جاء بها شريف (Sherif، ١٩٦٦) أن الصراع بين الجماعات ينشأ نتيجة لتضارب المصالح فعندما ترغب اثنتان من الجماعات في تحقيق هدف بعينه ولا يتهيأ الوصول إليه إلا الواحدة منهما فان ذلك يؤدي لنشوء العداء بينهما (مكلفين و غروس ، ٢٠٠٢ : ٢٦٠) .

وحيثما يحدث صراع وتنافس بين جماعتين من الجماعات نتيجة أي عوامل خارجية فان هاتين الجماعتين تهدد كل منهما الأخرى إلى أن تتكون مشاعر عدائية بينهما وهو ما يؤدي إلى حدوث تقويمات سلبية متبادلة) فالتنافس حينما يحدث لابد من أن يؤدي إلى خلق أشكال متباينة من مشاعر العدائية ، وقد حددت هذه النظرية نوعين من التنافس الواقعي :

الأول : على مصادر مادية طبيعية أو على القوة كما في الوظائف المهنية المختلفة أو الأجور أو غيرها .

الثاني : على مصادر سيكولوجية خالصة مثل المكانة والتقدير .

فاذا حدث أن جماعتين هددت كل منهما الأخرى ، بصورة واقعية ، فحينئذ يمثل التهديد اقوى سبب للتمركز الاثني والتعصب لدى الأفراد ، على أساس درجة التهديد ، بمعنى أن الأفراد الأكثر عرضة للتهديد يكونون أكثر تمركزا وتعصباً من غيرهم (عبدالله ، ١٩٨٩ : ١١٤-١٠٥) .

نظرية الحرمان النسبي Relative Deprivation Theory

تفترض هذه النظرية أن اختلاف توقعاتنا (بشان ما نشعر بأننا نستحقه) ، عن إنجازاتنا الواقعية يولد أحباطاً ، وفي الحالات التي نقل فيها إنجازاتنا عن توقعاتنا بكثير يكون الحرمان النسبي على أشده ويؤدي إلى حالة من الضيق الجمعي (مكلفين و غروس ، ٢٠٠٢ : ٢٥٨) .

وتؤكد هذه النظرية أن الاستياء وعدم الرضا لا ينشأ نتيجة الحرمان الموضوعي ، ولكن من الشعور الذاتي للشخص بانه محروم نسبياً أكثر من بعض الأشخاص الآخرين في الجماعات الأخرى ومفهوم الحرمان النسبي من وجهة نظر العلوم السياسية هو " إدراك الأشخاص لوجود حالة تضارب بين توقعاتهم القيمية وقدراتهم القيمية على تحقيق هذه التوقعات" ونتيجة لذلك يتمرد الناس ضد ظروفهم ليس عندما يكونوا محرومين بالمفهوم المطلق للحرمان ، ولكن عندما يشعرون انهم محرومون بالنسبة إلى أشخاص أو جماعات خارجية" أن العامل الأساسي في مفهوم الحرمان النسبي هو المقارنة مع الآخر والقناعة بان لك حق شرعي في الحصول على الحقوق نفسها والامتيازات التي يتمتع بها هذا الآخر سواء كان فرداً أو مجموعة لقد ميز راينسمان (Runciman ، ١٩٦٦) بين الحرمان النسبي الأثني أو (الفردية) والحرمان النسبي الأخوي أو (الجماعي) ، يحدث الأول عندما يقارن الأفراد وضعهم الشخصي بوضع آخرين من نفس جماعتهم الداخلية ، أما الثاني فيحدث عندما يشعر الأفراد أن جماعتهم الداخلية محرومة عموماً مقارنة بجماعات خارجية ذات علاقة ، وتحديد المجموعة الخارجية يعود بالأساس إلى تحديد الهوية الجماعية لذلك تشكل الهوية الجماعية شرط مسبق لحالة الحرمان النسبي الجماعي (مكاوي ، ٢٠٠٢ : ٥ - ٦) .

ويؤدي الحرمان النسبي إلى الخصومة بين الجماعات حينما يشعر الأشخاص بحافز إلى تحقيق موضوع قيمى معين لا يتوفر لديهم ، وذلك بمقارنة أنفسهم ببعض الجماعات الأخرى التي تمتلك هذا الموضوع ، ويشعرون بأن في مقدورهم تحقيقه إلا أن الظروف لا تساعدهم (عبدالله ، ١٩٨٩ : ١٠٧).

نظرية التهديد الجماعي في مقابل الاهتمام الفردي

ترى هذه الصيغة لنظريات الصراع أن الميكانيزم الأساس الذي يمثل مفتاح التفسير هو اعتقاد أعضاء احدى الجماعات أن حياتها مهددة أو مستهدفة من قبل جماعات أخرى ، وهذا ما يعكس الاهتمام الجماعي للأفراد بمصيرهم ومستقبلهم ، وليس الاهتمام الذاتي المتمثل في اهتمامات الأفراد كل حسب رغباته وأمانيه الخاصة لأن هذا الاهتمام الذاتي وجهه باعتراضات عديدة ، ومصدر "الخوف" الذي يمكن أن يوجد لدى بعض الجماعات هو الإحساس الجماعي للأشخاص بأن الجماعة التي ينتمون إليها معرضة للإصابة بأذى ، دون احتساب ما إذا كان الشخص عضو هذه الجماعة سيصاب هو شخصية بأذى من جراء ذلك (عباس ، ٢٠١٠ : ٥٩).

فكل ما يحكم هذه العملية هو الشعور الجماعي لا الذاتي بالكرهية والاستياء بصرف النظر عن السبب المحدد لذلك ، والتمركز الإثني هو مجموعة من الاتجاهات الجماعية الخاصة التي تحكم أسلوب التفاعل بين الجماعات في المجتمع وليس الكيفية التي تسيير بها حياة الشخص ومشاعره الخاصة (عبدالله ، ١٩٨٩ : ١٠٩) .

المرتكزات والمبادئ النفسية للتمركز الإثني :

أن التمرركز الإثني عبارة عن فكرة تعبر عن أفضلية ورقي مجموعة أثنية على مجموعات أخرى ، ويمكن النظر إليه كنظام خاص أو معين من المعتقدات والقيم المجموعة اثنية معينة تعد مفضلة أخلاقية على المجموعات الأخرى ، وان لكل ثقافة أنماط فريدة متميزة من السلوك قد تبدو غريبة لمن ينتمون إلى ثقافات أخرى ، وان كثيراً من جوانب الحياة اليومية التي تمارسها ونعدها بصورة تلقائية أمراً مفروغاً منه في ثقافتنا ربما تكون أمراً غريباً في ثقافات أخرى في مناطق أخرى من العالم ، وحتى في المجتمعات التي تشترك في لغة واحدة ، فإن العادات والتقاليد وأنماط السلوك قد تكون مختلفة تماماً عن غيرها ، وقد يكون فهم الثقافة واستيعابها من الخارج عملية بالغة الصعوبة فنحن لا نستطيع أن نفهم الممارسات والمعتقدات بمعزل عن النطاق الثقافي الأوسع الذي تكون جزءاً من مكوناته وعناصره (غينز ، ٢٠٠٨ : ٨٦) .

فالشخص المتمركز اثنياً يفترض أن الثقافة ذات القيمة أو الشأن العالين هي أفضل من باقي الثقافات وسوف يشير إلى مجتمعه وثقافته على أنها ذات شأن وقيمة عالين . فالتمركز الإثني ينشأ كنتيجة طبيعية عبر نظرة الناس الذين يرتاحون ويفضلون الاختلاط مع الناس الذين يشبهونهم ويتشاركون معهم بالقيم نفسها ويتصرفون بالطريقة نفسها ، ومن غير الطبيعي أن يعد الشخص أن كل ما يؤمن به هو جيد وملائم أو كل ما يتصرفه من أفعال تعد طبيعية ومناسبة فالشخص الذي يولد في مجتمع معين وينمو وينشأ على قيم وسلوكيات هذا المجتمع سوف يطور أشكال التفكير التي ولد فيها والتي تكون غير ملائمة للثقافات الجديدة ، وبسبب أن الشخص تعود على الثقافة التي ولد فيها فإنه سوف يكون من الصعب عليه رؤية سلوكيات الناس من وجهة نظر الثقافات المختلفة لهؤلاء الناس ، سوف ينظر إليهم من وجهة نظر مجتمعه ، فالشخص المتمركز اثنياً سوف يرى الثقافات التي تختلف عن ثقافته ليست مختلفة فقط بل أنها خاطئة لدرجة ما . أن هذا الشخص سوف يقاوم ، أو يرفض المعاني وأنماط التفكير الجديدة لأنه ينظر إليها برغبة أقل من التي تعود عليها في مجتمعه الذي ولد فيه ، وبذلك فان التمرركز الإثني يقود إلى تزييف الوعي التاريخي والاستغراق في تعظيم التاريخ العرقي المصطفى على حساب الأمانة العلمية والمصادقية الفكرية (أبو العشة ، ٢٠٠٨ : ١).

أسباب التمركز الإثني :

معظم الناس يعتقدون بأنهم ليسوا متمركزين اثنياً لكنهم بالأصل متعصبين ، أن كل شخص متمركز اثنياً لا شعورياً ، فالتمركز الإثني هو عملية صنع افتراضات وأحكام خاطئة بشأن طرق الآخرين بالاعتماد على خبراتنا المحدودة ، والكلمة الرئيسية في هذا التعريف هي : (الافتراضات) ، وبسبب أننا غير واعين بكوننا متمركزين اثنياً فإن الافتراضات التي نضعها بشأن خبرات الآخرين تشكل أحكاماً خاطئة سلبية تعكس تمركزنا الإثني (عباس ، ٢٠١٠ : ٣٤)

إذ تشير ظاهرة التمركز الإثني إلى التوجس والشك تجاه الأجانب مقرونة بالميل إلى تقويم ثقافات الآخرين بمعايير تركز على ثقافة الجماعة الأولى نفسها . وتظهر جميع الثقافات هذه النزعة التي يلزمها في أحيان كثيرة الميل إلى التفكير التمييزي . وفي هذه الحالة ينظر إلى الأجانب بوصفهم غرباء ويرايرة أو منحطين أخلاقياً ومتخلفين عقلياً . ويسير التمركز الإثني جنباً إلى جنب مع انغلاق الجماعة الذي يشير إلى محافظة المجموعة على الحدود الفاصلة بينها وبين الآخرين ، ويجري تشكيل هذه الحدود عن طريق وسائل إقصائية تحدد وترسخ حواجز الفصل بين مجموعة أثنية وأخرى وتشمل حظر التزاوج - أو الحد منه بين الجماعات وفرض القيود على العلاقات الاقتصادية والتجارية ، أو بناء الحواجز المادية بين الجماعات . ومن جراء خطوط الانغلاق هذه تنشأ أعنف الصراعات بين الجماعات الإثنية ، إذ تدل هذه المعالم على حالة اللامساواة والتفاوت في توزيع الثروة والسلطة والمنزلة الاجتماعية (غدنز ، ٢٠٠٨ : ٣٢٣) .

وهناك صفة خافية عن الناس هي انهم يحبون جماعتهم الإثنية وينظرون إلى أعضائها غاية في المحاباة ، إذ يرون أنفسهم بأنهم يمتلكون صفات لطيفة وسلوكاً مهذباً ، وانهم محبوبون ، والعامل المزاجي النفسي في هذه الحقيقة النفسية هي أن الناس ينزعون إلى تصنيف عالمهم إلى صنفين (نحن ، وهم) ومن هذا التقسيم ينشأ التعصب والصراع والتمييز (مكلفين و غروس ، ٢٠٠٢ : ٢٦٥) .

أن التمركز الإثني يقود إلى سوء فهم الآخرين ، نحن بالخطأ نقوم بتشويه الأشياء ذات المعنى والوظيفة الموجودة لدى الناس الآخرين عبر نظرتنا السطحية فترى حياة الآخرين بالاستناد إلى خبراتنا في الحياة وليس بالاستناد إلى نظرتهم وخبراتهم ، نحن لا نفهم بان طرائقهم تمتلك معاني ووظائف في حياتهم كما هو الحال في طرقنا ، فالنقطة الأساسية هنا هو أننا لانفهم بأننا لانفهم لذلك فنحن غير واعين باننا نستطيع تطوير مفاهيم وتفسيرات صادقة لخبرات الآخرين ومعايشة حياتهم ، وببساطة نستمر في هذا اللاوعي والذي يترتب عليه نتائج تعكس على مجتمعنا وعلى علاقتنا الدولية (الإثنية) ، فعلى سبيل المثال نحن نصبح غير عارفين وفاهمين للعلاقات الإثنية الداخلية وتفضلها على الآخرين ، ولكن بالنتيجة سوف نرحج الآخرين بصورة غير مقصودة ، فلا نرى اهتمامات الآخرين ، أو نشعر بالشفقة عليهم لانهم لا يستطيعون التعامل مع حالات حياتهم لكن عدم المعرفة هذه باهتماماتهم والشفقة عليهم سوف تؤذيهم وتجرهم (عباس ، ٢٠١٠ : ٤٣) .

التمركز الإثني يؤدي بأفراد الجماعة الإثنية إلى رؤية قدر كبير من الاختلاف (لا التشابه فيما بينهم كأفراد ، فيما يرون قدرة كبيرة من التشابه (لا الاختلاف) بين أفراد الجماعة الأخرى ، فصفا الكرم على سبيل المثال عندما يطبقونها على انفسهم ، فانهم يرون في أعضاء جماعتهم الإثنية من هو (كريم ، ونصف كريم ، وبخيل ، وبخيل جدا) أما اذا طبقوها على أفراد جماعه أخرى فهم يرون فيهم جميعا بخلاء من دون استثناء ، وقس على ذلك خصائص أخرى ، مثل (الصدق ، والأمانة والشجاعة ، ... الخ) (صالح ، ٢٠٠٧ : ١) .

كذلك فإن التمركز الإثني يعد كدليل على العلاقات الدولية إذ تخلق الصراعات بين الأجناس وتوطن أو ترسخ النية للصراع ، فهناك بعض من أشكال وحالات التمركز الإثني تشكل مشاكل اجتماعية مثل العرقية ، والاستعمار ، والتطهير الإثني (العراقي) ، لذا فإن الفهم الجيد لخبرات حياة الآخرين يجنب الصراعات ويطور ويرقي العلاقات المشتركة بين الناس للمنفعة المتبادلة وفي هذه الحالة لدينا تناقض ، نحن نفترض خطأ بسبب أننا لسنا واعين بأننا نفترض ، فهي عملية طبيعية غير مقصودة نحن لا نريد ولا نستطيع أن

نكون متمركزين إثنياً ، ولكن لا نستطيع أن نزيله لنصبح ذوي عقول ، أظهرت الدراسات أن التمركز الإثني ربما ينشأ بواسطة المجتمع (الثقافة) ، ويرتبط بتشكيل شخصية الفرد ، فينشأ عند الفرد من محصلة تجارب وخبرات وتفاعلات اجتماعية تزوده بها عملية التنشئة الاجتماعية ، وتمر بثلاث مراحل :

أولاً - مرحلة التمييز : ويقصد بها قدرة الطفل على التمييز بين أفراد الجماعات المختلفة نتيجة التعزيز التفاضلي في أثناء عملية التلقي من المحيط القريب .

ثانياً - مرحلة التوحيد : أي انضمام الطفل إلى الجماعة التي ينتمي إليها وتوحده معها .

ثالثاً - مرحلة التقويم : وهنا تظهر الاستجابات التي قد تشير إلى نوع من التعالي أو إلى نوع من الشعور بالنقص تبعاً للحكم الذي يشعر الطفل بأن المجتمع قد أصدره على الجماعة التي ينتمي إليها (عباس ، ٢٠١٠ : ٥٤) .

وقد أثبتت التجارب أن الأطفال يتعلمون الأفكار النمطية والعنصرية والعرقية في عمر صغير جداً ، ودلت أبحاث في الولايات المتحدة على أن الدرجة العالية من الوعي وما يرتبط بها من دلالات اجتماعية تظهر بعد سن المراهقة ، حيث يمر وعي الطفل في أثناء تبني الاتجاهات الإثنية بثلاث مراحل هي :

ظهور الوعي الإثني بعمر ثلاث سنوات ، وهنا يعي الطفل هويته الإثنية ، والهويات الإثنية الأخرى . يتعلم الطفل العديد من المصطلحات والمفاهيم بين عمر أربع وثمان سنوات لوصف أعضاء الجماعات الإثنية لكن الطفل هنا لا يقوم بالتعميم .

ينمي الطفل اتجاهات إثنية تفضيلية باتجاه نماذج محددة في عمر ثمان سنوات ، وهنا يمكن رؤية صورة كاملة من التمييز والعدوان تميز سلوكه فيكتسب الاتجاهات السلبية ضد جماعات إثنية معينة ، لأنه عرضة دائماً لمثل هذه الاتجاهات سواء من الوالدين أم الأصدقاء ، أو لأنه يتلقى مكافأة لتبنيه هذه الاتجاهات (معروف ، ٢٠٠٧ : ٢ - ٣) .

أسباب انتشار التمركز الإثني :

مما سبق يمكن تحديد الأسباب التي تؤدي إلى التمركز الإثني في المجتمع :

ينشأ التمركز الإثني وتزداد حدته كلما كان هناك اختلاف أو تباين بين الجماعات الفرعية التي يتكون منها المجتمع ، فوجود جماعات إثنية تنتمي إلى عناصر مختلفة أو أديان مختلفة أو ثقافات فرعية مختلفة تعد أرضاً خصبة لنمو التمركز الإثني (عبد الله ، ١٠٩ : ١٩٨٩) .

الجهل و عدم وجود فرص الاتصال بين الجماعات المختلفة ، إذ أن الشخص أو الجماعة أو القبيلة حين تجهل حقيقة ما عليه الآخرون فأنها ستقع بسهولة الاحاديث المجالس غير الموثوقة والمتحاملة والدعاية المضادة ، وتدل الدراسات على أن الناس كلما عرفوا أكثر عن بعضهم خفت حدة التمركز الإثني لديهم .

تشتد حدة التمركز الإثني في المجتمعات التي فيها قوانين غير منصفة ، كأن تتال مجموعة أو مجموعات إثنية معينة امتيازات خاصة من دون بقية الناس .

يجد العنصريون والأثانيون ومحدودو الأفق في التباين الفكري والثقافي مرتعاً خصباً لانعاش التعصب وزيادة حدة الاختلاف ، فهؤلاء يجعلون من أنفسهم ومجموعاتهم محوراً ، فلكل ما لديهم هو الأصل وما لدى الآخرين صورة ، والواقع يشهد أنه ليس هناك قبيلة ذهبت بكل المكرمات ، ولا جماعة ذهبت بكل النجاح ، كما أنه ليس هناك تيار أو مذهب ذهب بكل الصواب .

تتمركز الجماعات أحياناً من أجل تقوية نسيجها الاجتماعي وتقوية صفوفها (بكار ، ٢٠٠٦ : ٣) .

يزداد التمركز الإثني عند الجماعات الإثنية عند وجود أخطار خارجية تهدد وجودها .

الأفكار النمطية الجامدة السلبية تجاه المجموعات الإثنية الأخرى .

التنشئة الاجتماعية المبكرة من خلال الاتصال بأفراد متمركزين إثنياً خاصة الوالدين والأقارب والمدرسين ، كذلك الاتصال بموضوع التمركز ، مثل الطفل الذي يلقي معاملة مهينة من زملاء له ينتمون لدين أو مذهب آخر ، ولكن هذا يكون عادة فردياً قليل الحدوث لأن الاتصال الوثيق بالآخر يكون سبباً هاماً للتسامح .

العوامل الثقافية تمارس دوراً كبيراً في زيادة حدة التمركز الإثني ، ففوة وسائل الإعلام المتعصب تؤدي إلى تعميق الاختلافات والكراهية بين المجموعات .

تمارس العولمة دوراً كبيراً في زيادة حدة التمركز الإثني لدى المجموعات الإثنية ، فهي من جانب تزيد التواصل الثقافي بين التجمعات البشرية ولكنها في الوقت نفسه تؤدي إلى نمو إحساس الثقافات الأضعف مادياً بأنها معرضة للضياع والذوبان ، وبالتالي تزيد من تمركزها الإثني (احمد ، ٢٠٠٧ : ٣) .

الطائفية والإثنية في العراق وتأثيرها على الهوية الوطنية :

تعود خصوصية الهوية في العراق إلى تعدد وتنوع كيانات اجتماعية مختلفة وثقافات فرعية متعددة تبدأ بالقومية والدين وتنتهي بالقبيلة والطائفة ، والعراق منذ أقدم العصور كيان مركب من إثنيات متعددة تتداخل وتتعايش مع بعضها البعض وبالرغم من هذا التداخل والتفاعل والتعايش مع بعضها البعض وبالرغم من هذا التداخل والتفاعل والتعايش بين هذه الجماعات بقيت الجغرافية لا تتطابق مع حدود المشاعر القومية والدينية والطائفية وذلك لتعدد الولاءات للقبيلة والطائفة والمنطقة والمدينة التي تستقطب كل واحدة منها مشاعر الولاء الاجتماعي حولها (بطاطو ، ١٩٩٢ : ٣٣) .

إذن سيكون هناك نوعان من الأحاسيس والمشاعر وهي :

أما أن تكون العليا حيث يتجه الفرد نحو هويته الوطنية ، أو تكون بقيمتها الدنيا فيكون الفرد في هذه الأمة العراقية دافع أو قاتل وكانت مشاعره أكثر باتجاه هويته الفرعية . إذا الغلو في الهوية الوطنية مسألة والغلو في الهويات والقيم الدنيا مسألة أخرى فكلما غلونا في انتماعنا وولائنا للهويات الثانوية نجد أن النتيجة ستكون دمار للهوية الوطنية وللهويات الفرعية معاً ، ولكن عندما يغالي المواطن في حبه للهوية الوطنية ، فأنا سننتج أمة قومية مهياة إلى أن تصنف في مصاف الأمم الكبرى (شمس وآخرون ، ٢٠٠٨ : ١٥٧ - ١٥٨) .

ومن أجل إعادة إنتاج الوعي الاجتماعي وتوحيد العراقيين في هوية وطنية واحدة ينبغي نشر ثقافة التسامح وتعلم ثقافة الديمقراطية وممارستها ، بدل العنف الذي لا يمثل أفضلية بقدر ما هو تعدياً على الآخر المختلف . وإعادة الاعتبار إلى الإنسان العراقي المكسور والثقة إلى نفسه ، وبهذا يمكن إعادة بناء النسيج الاجتماعي والعائلي والأخلاقي وإعادة إنتاج الهوية الوطنية الموحدة التي يبحثون عنها (الحيدري ، ١٩٩٩ : ١٠) .

الهيمنة الثقافية مقابل التنوع الثقافي في العراق :

يرى علماء الاجتماع الأمريكيون أن ثقافة الجماعات تتعدد وتتعدد داخل المجتمع الواحد أي أنها ليست واحدة لكافة فئات المجتمع ، أو أنها على الرغم من تمثيلها لنسق واحد يشمل كافة الأنساق الثقافية ، فأنها لا تمثل الحياة العامة للمجتمع ، لذلك نجد صراع الثقافة الفرعية أو السائدة داخل المجتمع الواحد لأن احتمال عدم وجود ثقافة واحدة لكافة أفراد المجتمع ، أما يثير تساؤلاً هو : كيف يمكن جمع مجاميع المجتمع تحت مظلة الثقافة الواحدة في المجتمع المعاصر ؟ (عمر ، ٢٠٠٠ : ١٧٧ - ١٧٨) .

وتشكل القومية ، أو الدين ، أو الطائفة وحدات ثقافية متنوعة داخل ثقافة المجتمع (مطر ، ١٩٩٧ : ١٧) أن الانقسامات الإثنية لن تزول فهي اختلافات ثقافية ذات بعد تاريخي مديد لكن ما يمكن أن يزول هو تسييس الأفراد المتعصبين لهذه الاختلافات (عبد الجبار ، ٢٠٠٨ : ٨٠) .

- وجاء في تقرير أصدريته الأمم المتحدة أن تقبل التعددية الثقافية يمكن أن يحول دون وقوع النزاعات ويشجع التنمية الاقتصادية ، وتناول التقرير عدة نظريات بشأن التعددية الثقافية وبين زيفها :
١. "أن هوية الناس الإثنية تنافس ارتباطهم بالدولة ، مما يخلق مقايضة بين الاعتراف بالتعددية وتوحيد الدولة " ، يقول التقرير لا يوجد أي مقايضة بين التعددية ووحدة الدولة فالأفراد يستطيعون حمل هويات متعددة مكملة لبعضها بعضاً .
 ٢. "المجموعات الإثنية ميالة إلى النزاع العنيف مع بعضها بعضاً في صراع قيم ، وهناك بالتالي مقايضة بين احترام التعددية والمحافظة على السلام " قال التقرير أن الهوية الثقافية ليست مسبب لهذه النزاعات وإنما كحافز على التعبئة السياسية .
 ٣. " تتطلب الحرية الثقافية الدفاع عن الممارسات التقليدية ، وبالتالي تكون هناك مقايضة بين الاعتراف بالتعددية الثقافية وأولويات تنمية بشرية أخرى كإحراز التقدم في مجالات التنمية والديمقراطية والحقوق الإنسانية " فان التقرير يقول أن الثقافة ليست ثابتة غير متغيرة ، وأن الحرية الثقافية تتعلق بزيادة الخيارات الفردية لا بالمحافظة على القيم والممارسات كغاية بحد ذاتها .
 ٤. "أن الدول المتعددة الإثنيات اقل قدرة على النمو ، فهناك مقايضة بين احترام التعددية وتعزيز التنمية " وقال التقرير لا يوجد أي دليل يثبت وجود علاقة سلبية ، أو إيجابية بين التعددية الثقافية والتنمية (شافر ، ٢٠٠٤ : ١-٢) .

المجتمع العراقي أنموذجاً :

تتميز كثير من دول العالم اليوم بتركيبية اجتماعية متعددة الأثنيات وقد تكون هناك أصول تاريخية لهذا التعدد الإثني سواء في جوانبه الخفية أم المعلنة ويصدق ذلك على العديد من المجتمعات ، وقد تزايد تعدد الإثنيات في بعض المجتمعات الحديثة في أعقاب السياسات التي انتهجتها في العقود الأخيرة ، أو بسبب السياسات الاستعمارية التي مارستها بعض الدول على أراضي وشعوب أخرى في القرون الثلاثة الماضية ومن ملامح المجتمع العراقي التنوع المذهبي والديني والقومي الذي يفترض أن يؤدي إلى حالة من التعايش والألفة ، وأن يكون عامل إثراء ثقافي للمجتمع . ولكن هذا الواقع يمكن أن يتحول إلى كارثة بكل ما تحمله الكلمة من أبعاد ، إذ تحول إلى احتراق وتباغض بين مكونات المجتمع بفعل السياسة أو الدين إذ اتخذوا وجهتين طائفتين ، لو أردنا النظر إلى هذا التنوع الذي قد لا يكون موجوداً على هذه الشاكلة في دولة أخرى في المنطقة خصوصاً ، من حيث تعلقه بالتجانس أو عدمه فإنه قد يكون عامل هدم ، وقد يكون أيضاً من أهم عوامل البناء والوحدة ، لحاجة هذه المكونات إلى الوحدة ولعدم قدرة احدها على إلغاء الآخر ، إنها والحالة هذه ستكون مصدراً للإثراء الثقافي والفكري ، فالعبارة ليست في المجتمع المنجاس ولنأخذ الصومال على سبيل المثال ، فشعبه يدينون بدين واحد ، ومذهب واحد ، ويحملون سمات واحدة من حيث العرق ، وينتسب معظمهم إلى قومية واحدة ، ويتكلمون لغة واحدة مع ذلك فان الصومال رمزا للقتال والتناحر ، فيما تميزت دول عديدة مثل سويسرا وبلجيكا بازدهارها الاقتصادي واستقرارها الأمني والسياسي على الرغم من تنوعها لغوية وعرقية ودينية ، لا بل أن هذه الدول تربعت على صدارة الاقتصاد العالمي ونالت المراتب المتقدمة في رفاهية مواطنيها لذلك فان التنوع الإثني في العراق ليس هو المسؤول عما حل بهذا البلد ، كما أنه لن يكون عائقاً أمام قيام دولة تحفظ وحدته المجتمعية والسياسية أما التمرکز الإثني (Ethnocentrism) كما وصفه سمنر (Sumner ، ١٩٠٦) هو النظر إلى الأمور من زاوية أن الجماعة التي ينتمي إليها المرء هي مركز كل شيء ، والحكم على الآخرين على أساس أن جماعته هي مرجع هذا الحكم ، فكل جماعة تغذي غرورها وفخرها بذاتها هي الأرقى ، وتمجيد مقدساتها وبالنظر باحتقار إلى من هم دونها على ذلك يضم المركز الإثني معتقدات في القيمة الفريدة والصواب التام للجماعة التي ينتمي إليها المرء ، وفي الترفع عن الجماعات الأخرى إلى حد عده من نوع غير نوع جماعته والجماعة الإثنية (Ethnic Group) مفهوم أطلق على جماعات من الناس كانت مترابطة بيولوجية ثم اتسع المعنى وأصبح يطلق على أي جماعة لها تقاليد ثقافية مشتركة وإحساس بالهوية . وهكذا يمكن للجماعات الإثنية أن تكون مترابطة على أساس إحساس بالتاريخ والتقاليد أو اللغة ، أو الجغرافية ، أو على أساس التعريف السوسولوجي للعنصر ، أو الجنس ، أو الإحساس بالدين ، فالشخص المتمركز اثنيًا يفترض أن الثقافة ذات القيمة أو الشأن العالين هي أفضل من باقي الثقافات وسوف يشير إلى

مجتمعه وثقافته على أنها ذات شأن وقيمة عاليين . فالتمركز الإثني ينشأ كنتيجة طبيعية عبر نظرة الناس الذين يرتاحون ويفضلون الاختلاط مع الناس الذين يشبهونهم ويتشاركون معهم بالقيم نفسها وينصرفون بالطريقة نفسها ، ومن غير الطبيعي أن يعد الشخص أن كل ما يؤمن به هو جيد وملائم أو كل ما يتصرفه من أفعال تعد طبيعية ومناسبة للشخص الذي يولد في مجتمع معين وينمو وينشأ على قيم وسلوكيات هذا المجتمع سوف يطور أشكال التفكير التي ولد فيها والتي تكون غير ملائمة للثقافات الجديدة ، وبسبب ان الشخص تعود على الثقافة التي ولد فيها فانه سوف يكون من الصعب عليه رؤية سلوكيات الناس من وجهة نظر الثقافات المختلفة لهؤلاء الناس ، سوف ينظر اليهم من وجهة نظر مجتمعه فالشخص المتمركز إثنياً سوف يرى الثقافات التي تختلف عن ثقافته ليست مختلفة فقط بل أنها خاطئة لدرجة ما . أن هذا الشخص سوف يقاوم ، أو يرفض المعاني وأنماط التفكير الجديدة لأنه ينظر إليها برغبة أقل من التي تعود عليها في مجتمعه الذي ولد فيه ، وبذلك فان التمركز الإثني يقود إلى تزييف الوعي التاريخي والاستغراق في تعظيم التاريخ العراقي على حساب الأمانة العلمية والمصادقية الفكرية ، واكتسبت التعددية الإثنية أهمية خاصة كونها السبب وراء الصراعات التي تشهدها مجتمعات ودول كثيرة في أنحاء العالم وادت إلى انهيار دول مثل الصومال وليبيريا ، أو إلى حروب طويلة وتغيير أنظمة سياسية في دول مثل الكونغو والسودان ورواندا وبورندي ، والى أزمات وتوترات وانقسامات سياسية مثل أندونيسيا ، واسبانيا ، والولايات المتحدة ودول أمريكا اللاتينية ، والإثنية ظاهرة معقدة ومركبة وقديمة يتطلب تحليلها والسعي في فهمها ضرورة الإحاطة بالأبعاد المادية والنفسية والاجتماعية التي تمثل البيئة الخاصة بالظاهرة والتي تمنح كل جماعة طابعها المميز ودوافع قيام الجماعة الإثنية وتبلورها ، ناهيك عن الصراعات الإثنية وما خلفته من ضحايا ، فقد أزهقت أرواح ملايين البشر بعد الحرب الباردة (إذ قضى نحبه في البوسنة وحدها أكثر من ٢٠٠،٠٠٠ نسمة بين عامي ١٩٩٢ و ١٩٩٥ ، ونحو ٨٠٠،٠٠٠ في رواندا ١٩٩٤) . وما أعقب الحرب ضد العراق في آذار ونيسان عام ٢٠٠٣ وما حدث في العراق ومنذ ذلك الوقت إنما هو اثنية السياسة وهي ظاهرة معروفة تذكرنا بأشد فصول السياسة القومية الإثنية ظلمة " وتسوية الصراع المثير للجدل في البوسنة وفي لبنان وفي العصر الاستعماري الذي أقرن بتقسيم الهند والذي خلق بؤرة الصراع في كشمير مازالت نيرانها تستعر تحت الرماد وكانت هذه كلها ومازالت حلوياً داخل إطار "النموذج الإثني" وإن استمرار الكراهية بين الجماعات المختلفة داخل المجتمع الواحد سيؤدي إلى زيادة المسافة الاجتماعية بينها وقد يترتب على ذلك ، ضعف الاندماج بين هذه الجماعات فيصبح المجتمع الواحد منقسماً إلى مجتمعات فرعية يعيش كل منها في عزلة اجتماعية غير ملم بنشاطات المجتمع وهنا نصل إلى مسألة في غاية الأهمية وهي أن تعرض المجتمع إلى طارئ أو أزمة ، سيؤدي إلى استثارة العدوان لدى بعض الجماعات التي أحبطت بدرجة كبيرة ، إذ تتخذ من الأزمة أو الطارئ فرصة للنيل من جماعات أخرى كما تعد الإبادة أكثر أشكال العلاقات تطرفاً بين الجماعات والتي تتضمن الإبادة الجماعية ، أي التدمير المنظم والمخطط لجماعة أثنية معينة ، أما التطهير الإثني فيعني خلق مناطق متجانسة أثنية عن طريق الإخلاء الكلي للجماعات الإثنية الأخرى ، وهذا ما حصل في العراق برغم أن الكثير يرفض وصف عمليات القتل المتواصلة في جميع أنحاء العاصمة العراقية بغداد وفي مناطق عديدة في العراق بانها حرب طائفية أثنية وقد يكون معهم الحق من زاوية فنية واحدة أنها ليست معركة خنادق مناطقية طائفية مثلما جرى في لبنان أو البوسنة أو أي منطقة أخرى في العالم ، ولكن المشهد القتالي الطائفي العراقي يعتمد أسلوب قتالي جديد أهم ميزاته هو تحديد الضحية أو الضحايا الاعتبارية إثنية دينية أو مذهبية أو مناطقية وذلك ما حدث بالضبط في الأعظمية وحجى الجهاد والعامرية والغزالية والشعلة والبرموك ، ومثلت الموت اللطيفية اليوسفية والبياع وكل مدن العراق الأخرى . لا يشكل رفض التسمية انعكاساً للواقع أو مكابرة بل أنها تغطية لمشروع طائفي تسهم فيه قوى معينة لتخريب النسيج الاجتماعي والديني والسياسي العراقي ومن ثم تقويض اركان اللحمة الوطنية وشرذمة الولاءات وتحويلها من الوطني إلى الطائفي الإثني والخاسر الأكثر في هذه العملية هو المواطنة العراقية والعراق كوطن وإقليم ، وتمثل العشيرة (Clan) والتي هي عبارة عن مجموعة أفراد وجماعات تتحدث اللغة نفسها ، واللهجة نفسها ، والمنقسمة إلى جماعات فرعية متعددة ، أفخاذاً وحمولات ، وبيوتات ، وكل بيت يضم بدوره عوائل ذات أحجام متباينة ، وهي كلها تنظر إلى نفسها على أنها ذات

انحدار أبوي مشترك ، وهو تصور خيالي أكثر منه حقيقية بحرفيته ، كيان اجتماعي سياسي يمارس قدراً كبيراً أو صغيرة من السيادة على رقعة ارض محددة أما القبيلة (Tribe) هي جماعة اكبر من العشيرة فتضم عادة عدداً من العشائر التي تنتمي أو تشعر بالانتماء إلى قرابة واحدة ، وهي وحدة اجتماعية متماسكة تتمتع بدرجة من الاستقلال السياسي ، ويمكن القول أن القبيلة تقوم مقام الدولة في البداوة إذ يجد الفرد فيها الأمن والضمان والرعاية ، وهي تهدد بالتأثر لكل من يريد أن يعتدي عليهم ، وإذا ما في احدهم بيد فرد من قبيلة أخرى ، هبت القبيلة تطالب بثاره . وإذ لم تتمكن من قتل القاتل ، عمدت إلى قتل أي فرد من قبيلته بدلاً عنه ، وبمقدار ما يتوقع الفرد من القبيلة أن تشمله بحمايتها ، تتوقع القبيلة بالمقابل أن يمنحها الفداء والولاء ، فهي مصلحة متبادلة بينه وبينها هو يتقوى بالقبيلة ، والقبيلة تتقوى به وتنقسم القبائل الكبيرة إلى عشائر ، والعشائر إلى بطون ، والبطون إلى أفخاذ ، وقد اعتمدت ممارسة السلطة في العراق كثيراً على العشيرة (القبيلة) كأهم الجماعات المرجعية في شخصية الفرد العراقي ، من دون النظر إلى اعتبارات الكفاءة والتحصيل ، وما إلى ذلك ، وتمكين (الأقارب) حتى لو كانوا غير مؤهلين لأشغال مناصبهم بدلاً من الاعتماد على ذوي الكفاءة من الأعراب ممن يتمتعون بثقة الناس واحترامهم ، أو ممن لهم نوع من التمثيل الديمقراطي الحر ، أن إشكالية الريف والمحلة بديلاً عن المدينة باعتبار أن المدن هي ظاهرة تجمع سكاني تكون مهياً لخلق حياة مستقرة (مجتمع) ، متجاوزة التفتيت الذي تمثله (المجتمعات المحلية Communitis) والقبائل لإزالة الفروق بين الحياة في المناطق الحضرية والحياة في المناطق الريفية لكن هيمنة الطابع العشائري ظلت على معظم الأراضي الزراعية والمراعي في العراق ، وحتى على نطاق سكان المدن وكانت العداوة التقليدية بين المناطق الحضرية والريفية العشائرية ، فالعشائر تنظر إلى الإدارة والسكان الحضري باعتبارهم مستغلين ، وسكان المدن يخشون العشائر بوصفهم محاربين غير منضبطين لا يحترموا القانون من جهة أخرى كانت الاشتباكات الحضرية في المدينة ظاهرة معروفة في التنافس بين (محلات) أو (أحياء) في مختلف مدن العراق فالمجموعات الإثنية في هذه المدن ، والتي تنتمي في الغالب إلى عقائد دينية وطوائف أو طبقات اجتماعية مختلفة ، أو كانت من أصول إثنية أو حتى عشائرية كانت تميل إلى ان تعيش في محلات منفصلة وكقاعدة عامة كان سكان (المحلة) يعيشون في عالم خاص بهم ، والذين كانوا يشكلون جزءاً من (ملة) ما ، كانوا يتمتعون باستقلالية ذاتية في شؤونهم الشخصية فالمدينة العراقية مقسمة إلى أحياء (محلات) منفصلة عن بعضها البعض ومتنافرة فيما بينها (والمحلة) في المدينة ، مثلما هي العشيرة في الريف ، كانت تشكل ملاذاً للإنسان يحتتمي بها ، ولم يقتصر هذا الانقسام على محلات مدينة بغداد لوحدها بل شمل كل المدن العراقية ، وكثيراً ما كانت هذه المحلات متباينة في مواقفها من عدة مسائل اجتماعية ووطنية .

الاستنتاجات :

أصبح واضحاً مما سبق أن الانتماءات الفاعلة في المجتمع العراقي ، هي لجماعات تبتعد كثيراً عن الجماعات التي من المفترض أن تكون فاعلة في المجتمعات الحديثة ، فإزاء الانتماء إلى الأسرة ، هناك الانتماء العائلي الذي يشكل دافعاً لانتماء أبعد ، هو الانتماء العشائري ، ومن ثم الانتماء القبائلي ، وهناك أخيراً الانتماء الريفي أو المحلاتي (من المحلة) إزاء الانتماء إلى المدينة وتكوين المجتمع المدني . وهذه الانتماءات التقليدية كانت في بنى تشكو التقليد وتحاول أن تسموا إلى الحداثة قادت الفرد العراقي بعيدة عن الانتماء أنت الموحدة مع الأفراد الآخرين في هذا المجتمع تندرج إشكالية المجتمع في العراق المعاصر في سياقات قومية ودينية وطائفية (مذهبية) متداخلة ، تضاف إلى الالتباسية (العائلية) و (القبيلية / العشائرية) و (المحلاتية) المذكورة آنفاً وبالرغم من أن الشيء الطبيعي والصحي أن تكون الفرد والمجتمع هوية جماعية ذات مرجعية فاعلة ، أو أساسية وأحدة يجذب إليها أو يتحد بها ، أو على الأقل تكون تلك المرجعية هي السائدة من الوجهة النظرية والعملية بحيث لا تتعرض لمنافسة خطيرة مع مرجعيات أو انتماءات أخرى ، مع التسليم بوجود انتماءات اجتماعية لكنها لا تتنازع الانتماء الأكبر شرعية ، أن التنوع الطائفي أو المذهبي يمثل واقعاً اجتماعياً ، يمكن أن يكون عامل إثراء وتعايش ، وهو بلا شك لا علاقة له بالطائفية السياسية ولا يجوز بأي حال من الأحوال أن يؤول إلى

الطائفية السياسية ، ولكن الذي حدث في العراق هو تأسيس الطائفية السياسية وإصرار عليها وتأصيل وتجذير لها ومفهوم الطوائف (Sects) يشير فقط إلى التنوع في المعتقدات والممارسات الدينية بين الأفراد ، أما مفهوم الطائفية (Sectarianism) يشير إلى استعمال هذا التنوع الديني لتحقيق أهداف و مصالح سياسية أو اقتصادية أو النضال من أجل تحقيق المصالح الزعماء أو أبناء طائفة معينة في مواجهة طوائف أخرى و تعود خصوصية الهوية في العراق إلى تعدد وتنوع كيانات اجتماعية مختلفة وثقافات فرعية متعددة تبدأ بالقومية والدين وتنتهي بالقبيلة والطائفة والعراق منذ أقدم العصور كيان مركب من إثنيات متعددة تتداخل وتتعايش مع بعضها البعض وبالرغم من هذا التداخل والتفاعل والتعايش مع بعضها البعض وبالرغم من هذا التداخل والتفاعل والتعايش بين هذه الجماعات بقيت الجغرافية لا تتطابق مع حدود المشاعر القومية والدينية والطائفية وذلك لتعدد الولاءات للقبيلة والطائفة والمنطقة والمدينة ، التي تستقطب كل واحدة منها مشاعر الولاء الاجتماعي حولها ومن أجل إعادة إنتاج الوعي الاجتماعي وتوحيد العراقيين في هوية وطنية واحدة ينبغي نشر ثقافة التسامح وتعلم ثقافة الديمقراطية وممارستها ، بدل العنف الذي لا يمثل أفضلية بقدر ما هو تعديا على الآخر المختلف . وإعادة الاعتبار إلى الإنسان العراقي المكسور والثقة إلى نفسه وبهذا يمكن إعادة بناء النسيج الاجتماعي والعائلي والأخلاقي وإعادة إنتاج الهوية الوطنية الموحدة التي يبحثون عنها ، أن ثقافة الجماعات تتعدد وتتوزع داخل المجتمع الواحد أي أنها ليست واحدة لكافة فئات المجتمع ، أو أنها على الرغم من تمثيلها لنسق واحد يشمل كافة الأنساق الثقافية ، فأنها لا تمثل الحياة العامة للمجتمع ، لذلك نجد صراع الثقافة الفرعية أو السائدة داخل المجتمع الواحد لأن احتمال عدم وجود ثقافة واحدة لكافة أفراد المجتمع ، إنما يثير تساؤلاً هو : كيف يمكن جمع مجاميع المجتمع تحت مظلة الثقافة الواحدة في المجتمع المعاصر وتشكل القومية ، أو الدين ، أو الطائفة وحدات ثقافية متنوعة داخل ثقافة المجتمع أن الانقسامات الإثنية لن تزول فهي اختلافات ثقافية ذات بعد تاريخي مديد لكن ما يمكن أن يزول هو تسييس الأفراد المتعصبين لهذه الاختلافات .

التوصيات :

١. توجيه الأسرة بضرورة التعامل مع الأبناء بطرائق ديمقراطية ومنح الطفل الحرية في التعبير عن رايه تجاه كل الأشياء ، والأخذ بالرأي الآخر حتى يخلقوا منه ناشئاً وشاباً يتصف بالانفتاح الفكري .
٢. ينبغي على المسؤولين في المؤسسات التربوية العمل على خلق العقليات الناقدة المنفتحة من أجل إعداد كوادر علمية بالمعنى الحقيقي مؤهلة للتعامل الجيد والمستمر مع الطلبة لتنمي روح المناقشة وتقبل الآراء المخالفة وبناء الرأي القائم على التجريب والمنطق والبرهان .
٣. تصدي وسائل الإعلام المختلفة المسموعة و المقروءة والمرئية لمفهوم الجمود الفكري من خلال بث الرسائل الاتصالية للتعريف بخطورته والتأكيد على تغيير النظرة القائمة لدى المجتمع تجاه بعض العادات والخرافات البالية والتي لا تتلاءم والعصر الحديث ولا تقوم على الأسس والبراهين العلمية .
٤. تضمين المناهج الدراسية بمواد تساعد على تنمية الانفتاح الفكري لغرض أعداد جيل منفتح معرفياً .

المصادر :

١. أبو العشة ، فرج ، (٢٠٠٨) . تلاحح الحضارات ، أيديولوجية التمركز العرقي ، شبكة المعلومات الانترنت [.faragasha@yahoo.com](mailto:faragasha@yahoo.com)
٢. احمد ، مهند . (٢٠٠٧) . التسامح والتعصب ، الحوار المتمدن ، العدد (٢٠٩٢) ، (٢٠٠٧/١١/٧) ، شبكة المعلومات الانترنت .
<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid114555>
٣. بطاطو حنا ، (١٩٩٢) ، العراق ، ج ١ ، بيروت .
٤. بكار ، عبدالكريم . (٢٠٠٦) . الانترنت - موقع الإسلام اليوم ،
www.Islamtoday.net – All rights reserved©/٢٠٠١-٢٠٠٧
٥. د- التميمي ، عبد الهادي (٢٠٠٧) . التعصب المذهبي والعرقي ، الحقيقة والمكابرة ، الانترنت ، الشرق ، (٧ أكتوبر / ٢٠٠٧) .
٦. جابر عبد الحميد وكفاقي ، علاء الدين . (١٩٩٠) . معجم علم النفس والطب النفسي ، الجزء الثالث .
٧. حسن ، محمود شمال (٢٠٠١) ، سيكولوجية الفرد في المجتمع ، القاهرة : دار الأفق العربية .
٨. حسين ، صخر الحاج (٢٠٠٧) . مصطلحات اجتماعية الجماعة الاثنية ، شبكة النبا المعلوماتية (٢٢ نيسان / ٢٠٠٧)
. www.alnabaa.org (
٩. _____ (٢٠٠٦) نظرة إلى مفهوم العرق عرق أم أثنية (العدد الخامس / تشرين الأول) ، شبكة المعلومات الانترنت .
١٠. الحسن ، احسان محمد . (١٩٨٠) . معجم علم الاجتماع ، منشورات وزارة الثقافة والأعلام ، الجمهورية العراقية .
١١. الحيدري ، ابراهيم (١٩٩٩) . اعادة انتاج الهوية العراقية ، شبكة المعلومات الانترنت .
١٢. دكت ، جون (٢٠٠٠) . علم النفس الاجتماعي والتعصب ، ترجمة عبد الحميد صفوت ، القاهرة دار الفكر العربي .
١٣. دسوقي ، كمال . (١٩٨٨) . ذخيرة علوم النفس ، المجلد الأول .
١٤. شافر ، جون (٢٠٠٤) . " تقرير التنمية البشرية للعام ٢٠٠٤ : الحرية الثقافية في عالم اليوم المتسم بالتعددية" ، (واشنطن ، تموز / يوليو) ٢٠٠٤ ، شبكة المعلومات الانترنت <http://usinfo.stste.gov.net/introl10htmi> .
١٥. الشمري ، عماد مطير . (٢٠١٠) . محاضرات في جغرافية السكان : دار الصباح .
١٦. شمس ، آمال وآخرون . (٢٠٠٨) . المسألة الطائفية والإثنية : العراق نموذجة ، مجلة شؤون مشرقية ، مركز دراسات المشرق العربي .
١٧. صالح ، قاسم حسين (٢٠٠٧) . التعصب والصور النمطية في المجتمع (مدخل لثقافة السلام والصحة النفسية) ، - Al mada Daily Newspaper
١٨. عباس ، ندى صباح (٢٠١٠) التمركز الاثني وعلاقته بالجمود الفكري ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد .
١٩. عبدالجبار ، عمر (٢٠٠٧) . الإثنيوتو العرق ، الانترنت. - [http: omar.socialindex](http://omar.socialindex)
٢٠. عبد الله ، معتز ، سيد . (١٩٨٩) . الاتجاهات التعصبية ، عالم المعرفة ، الكويت .

٢١. العبودي ، ستار جبار غانم (٢٠٠٢) . اثر الاستثارة الانفعالية والرسالة الاقناعية المعاكسة في تغيير الاتجاهات ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد كلية الآداب) .
٢٢. عمر ، معن خليل . (٢٠٠٠) . معجم علم الاجتماع المعاصر ، عمان : دار الشروق .
٢٣. غونز ، انتوني . (٢٠٠٨) . علم الاجتماع (مع مدخلات عربية) ، ترجمة الدكتور فايز الصياغ ، ط ، المنظمة العربية للترجمة : مؤسسة ترجمان .
٢٤. غرايبة ، ابراهيم (٢٠٠٧) . التعددية الإثنية إدارة الصراعات واستراتيجيات التسوية ، شبكة النبا المعلوماتية ، (٢٢ نيسان ٢٠٠٧) . www.alnabaa.org .
٢٥. _____ (٢٠٠٨) . التعددية الإثنية ادارة الصراعات واستراتيجيات التسوية ، شبكة معلومات الإنترنت - www.alnabaa.org .
٢٦. فيلاند ، كارستن . (٢٠٠٧) . الدولة القومية خلافة لإرادتها ، ترجمة محمد جديد ، : دار المدى الثقافة والنشر .
٢٧. مطر ، سليم . (١٩٩٧) ، اشكالية الهوية في العراق والعالم العربي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .
٢٨. معروف ، نضال . (٢٠٠٧) ، التعصب أنواع ويصيب المجتمعات ، الشرق (٥ سبتمبر ٢٠٠٧) - Copyright : 1978- (SRPC) H.H saudi Research & Publishing Company © 2007
٢٩. مكايي ، ابراهيم (٢٠٠٢) . الحركة الطلابية الفلسطينية في الداخل كمدرسة لبلورة الهوية القومية ، شبكة المعلومات الانترنت . No . (January , 2002) . Kana an . ١٠٨ .
٣٠. مكلفين ، روبرت وغروس ، ريتشارد . (٢٠٠٢) . مدخل إلى علم النفس الاجتماعي ، الأردن دار وائل للنشر .
٣١. نقاش ، اسحاق وآخرون . (٢٠٠٩) . المجتمع العراقي ، حفريات سوسبيولوجية في الإثنيات والطوائف والطبقات .